



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة



كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها

ألفاظ النفس في القرآن الكريم قراءة في الدلالة

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص علوم اللسان

إشراف الأستاذ الدكتور:

عطية طيباوي

إعداد الطالبين:

محمد الأمين سليخ

بلقاسم بن مسعود

السنة الجامعية : 1437هـ - 1438هـ / 2016م - 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

إن النعمة موصولة بالشكر والشكر معلق بالمزيد، قال الله تعالى: (ولئن شكرتم لازيدنكم) إبراهيم
:الآية (7) ولن ينقطع المزيد من الله تعالى حتى ينقطع الشكر من العبد والشكر دوماً لله سبحانه أن
أنعم علينا بنعمة الإسلام والصحة والأمان، وأن مكنتنا من إخراج هذا الجهد المتواضع إلى حيز
الوجود، فله الحمد والشكر أولاً وآخر.

بداية تتقدم بجزيل الشكر إلى جامعتنا الغراء جامعة زيان عاشور حفظها الله وجعلها ذخراً ومنازة
للعلم والعلماء، ومن كرم الله علينا أن يسر لنا شموعاً أثارنا طريقنا أساتذتنا في قسم اللغة العربية
وآدابها وعلوى رأسهم الأستاذ: د. عطية طيباوي، المشرف على هذه الرسالة الذي لم يدخر عن
جهداً في متابعتنا حتى أتمنا آخر حرف في هذه الرسالة، كما تقدم بالشكر والتقدير للأساتذة
الكرام الذين تفضلوا مشكورين بقبول مناقشة رسالتنا وليقدموا لنا توجيهاتهم السديدة، ونصائحهم
القيمة، وإلى جميع الأساتذة الأفاضل حفظهم الله جميعاً.

كما تقدم بالشكر والعرفان لجميع الزملاء الذين لم يبخلوا علينا بتقديم المشورة والنصح لإثراء هذا
الجهد المتواضع، والشكر لكل من أعاننا ولو بدعوة صادقة في ظهر الغيب.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله، وإلى زوجتي الغالية
وولدي أحمد ومحمد، وإلى أخي محمد وأخواتي الكريمات والأصدقاء
أوباح مبخوت، عباس نور الدين، حزوطي مراد، وإلى كل من له فضل علي
، كل من خالد، طاهر، كمال، يوسف وإلى أساتذتنا في قسم اللغة والعربية
وآدابها وإلى من كانوا برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي في الجامعة .

إهداء

بلقاسم بن مسعود

الإهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى :

الوالدين الكريمين حفظهما الله وإلى شقيقة الروح زوجتي وأم أولادي

وصغيري إلياس ياسين وكل أفراد أسرتي

وإلى كل الأصدقاء ، ومن كانوا برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي في

الجامعة ، وإلى الأستاذ عطية طيباوي ، حفظه الله ورعاه وإلى كل

الأساتذة الكرام .

إهداء

محمد الأمين سليخ

مقدمة

لقد شغلت النفس الإنسانية بال كثير من العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً، وأصبحت علماً زاخراً ومتشعباً ينهل منه الدارسون، لذا فقد كثرت الدراسات والمؤلفات بشأنها، ولكن من وجهة نظر الفلسفة وعلم النفس، وليس من وجهة نظر اللغويين، فلم نعثر على دراسات سابقة تسلط الضوء على دراسة الألفاظ، وبيان دلالاتها اللغوية. هذه الأخيرة ارتأينا أن تكون موضوع دراستنا من حيث الدلالة والتركيب، ذلك أن اللغة هي المهاد لكل ما ذكر، وقد كان لاختيارنا موضوع :

ألفاظ النفس في القرآن الكريم، قراءة في الدلالة.

جملة أسباب:

أولاً: تحقيق أملنا الكبير الذي طالما تمنّيناه، وهو أن نتشرّف بدراسة جانب من جوانب القرآن الكريم، لنكون على اتصال دائم بكلام الله العليم.

ثانياً: افتقار المكتبة العربية قديماً وحديثاً لهذا النوع من الدراسات اللغوية الدلالية.

ثالثاً: الرغبة القويّة في نفسينا للبحث عن البعد الدلالي لهذه اللغة المباركة و الغوص في جمال وروعة بلاغة القرآن الكريم .

ومن هذا المنطلق يمكن أن يطرح الباحث إشكالا مفاده :

ماذا تشكل دلالة النفس في كتاب ربنا ؟

ماهي أبعاد هذه الدلالة ؟

ماهي أنواع وصفات هذه النفس في القرآن الكريم ؟

وكيف ينظر الإسلام لهذه النفس والفلاسفة؟

هذه الإشكالات تناولناها دراسةً متبعين في ذلك منهجا تنوع بين الوصف والتحليل، ذلك أن الوصف يتركز على ماهية النفس وحقيقتها، أما التحليل فيتجلى في تفسير النصوص الواردة في هذا الشأن.

وقد كان لهذا الموضوع دراسات سابقة منها:

الإنسان والنفس في ضوء الكتاب والأحاديث النبوية للأستاذ قاروط .

ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم زين حسين أحمد ياسين.

وقد اتبعنا في هذا البحث منهجية إليك بيانها:

في المبحث الأول تناولنا النفس من حيث الماهية والمفهوم، واندرج تحت هذا المبحث مطلبان، فالمطلب الأول درسنا فيه الدلالة المعجمية للفظ النفس والمطلب الثاني درسنا فيه الدلالة الاصطلاحية للنفس أي في القرآن الكريم حسب ورودها .

أما المبحث الثاني فتناولنا فيه النفس البشرية في نظر الدارسين، واندرج تحت هذا المبحث مطلبان :

المطلب الأول: النفس البشرية في نظر الإسلام، والمطلب الثاني: النفس البشرية في نظر الفلاسفة، حيث اکتفينا بذكر فيلسوفين أفلاطون الذي يمثل الفلسفة غير الدينية وأبو حامد الغزالي الذي يمثل الفلسفة الدينية .

أما المبحث الثالث فقد تطرقنا فيه إلى صفات النفس في القرآن الكريم وأنواعها واندراج
تحت هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: صفات النفس في القرآن الكريم، وفيها أربع صفات .

والمطلب الثاني: أنواع النفس في القرآن الكريم وذكرنا أنواعها الستة.

المبحث الأول: النفس بين المفهوم والماهية

أدلى اللغويون بدلائهم, وأفاضوا في الحديث عن ماهية النَّفس وقد دعموا أقوالهم بأدلة قوية مستوحاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي الأصيل، إضافةً إلى ما امتلكته قرائحهم الفذة من لغةٍ وفكرٍ واسعين في هذا المجال وفي هذين المطلبين نحاول أن نخرج على الدلالة المعجمية والمعنى الاصطلاحي للنفـس .

المطلب الأول : الدلالة المعجمية .

جاء في كتاب تاج اللغة: النفس: الروح. يقال: خرجت نفسه. والنفـس: الدم. يقال: سالت نفسه. وفي الحديث: ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه.

والنفس أيضا: الجسد، وأما قولهم: ثلاثة أنفس، فيذكرونه لأنهم يريدون به الإنسان. والنفـس: العين، يقال: أصابت فلانا نفس، ونفسته بنفس، إذا أصبته بعين. والنفـس: العائن.¹

والنفـس: الخامس من سهام الميسر، ويقال هو الرابع. ونفس الشيء: عينه يؤكد به.

يقال: رأيت فلانا نفسه، وجاءني بنفسه.

والنفس أيضا: قدر دبغة مما يدبغ به الأديم من القرظ وغيره. يقال: هب لي نفسا من دباغ.²

أما في معجم العباب:

النفـس: الروح، يقال: خرجت نفسه، قال:

1 تاج اللغة وصحاح العربية ، الفارابي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط :الرابعة 1407 هـ - 1987 م، ص: 984، ج:3

2 المصدر نفسه

نجا سالم والنفس منه بشدقه ... ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا
أي بجفن سيف ومئزر¹

وفي معجم تهذيب اللغة: قال أهل اللغة: النفس في كلام العرب على جهين:
أحدهما: قولك: خرجت نفس فلان، أي: روحه.

ويقال: في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي: في روعه.

والضرب الآخر: معنى النفس حقيقة الشيء وجملته.

يقال: قتل فلان نفسه، والمعنى: أنه أوقع الهلاك بذاته كلها.

وقال الزجاج: لكل إنسان نفسان:

إحداهما نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها يتوفاها الله، كما قال الله
جل وعز.

والأخرى نفس الحياة، وإذا زالت زال معها النفس،²

قال: وهذا الفرق بين توفي نفس النائم في النوم وتوفي نفس الحي.

قال: ونفس الحياة هي الروح وحركة الإنسان ونموه يكون به.

أبو العباس عن ابن الأعرابي قال:

النفس: العظمة والكبر.

والنفس: العزة.

والنفس: الهمة.

1 العباب الزاخر واللباب الفاخر: الصاغاني، دت، ج:1، ص:207،

2 تهذيب اللغة: أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط: الأولى، 2001م،

المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية للنفس.

لقد وردت كلمة النفس في القرآن الكريم حسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 295 مرة مائتين وخمسة وتسعين موضعاً، وذلك على صور مختلفة، سواء في الأفراد والتثنية أو الجمع.

وقد وردت بمعان عدة، فابن الجوزي قد أور لها ثمانية وجوه :

آدم ، الأم ، الجماعة ، الأهل ، أهل الدين ، الإنسان ، البعض، النفس بعينها. (1)

أما لدى الدامغاني فقد وردت على عشرة وجوه هي :

القلب ، منكم ، الإنسان ، بعضكم ، الروح ، أهل دينكم ، جملة الإنسان ، الغيب (2).

وردت كلمة نفس في القرآن الكريم تدل على عدة معان:

الذات الإلهية، الروح، القلب، العند، أفراد معينين، أهل الدين وأبناء الجنس الواحد، منكم ومنهم، ذات الإنسان، طوية الإنسان وجوهره، وهي كالتالي:

أولاً: الذات الإلهية : جاء في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْبٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ (1)

1 زاد المسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي، 1422 هـ، ص: ، 595 .

2 | الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ،لدامغاني ، ت:عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،

1419 هـ، ص: 770.

أى أن الله كتب على نفسه العلية الرحمة وعد بالرحمة فضلا منه وتكرما ، وذكر النفس هنا بارة عن تأكد وعده وارتفاع الوسائط دونه وفي الكلام ترغيب للمتولين عنه إلى الإقبال إليه وتسكين خواطرهم بأنه رحيم بعباده. (2)

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ^ط

كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ^ط أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ (3) أى أوجبها على نفسه

الكريمة تفضلا منه وإحساناً. (4) وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٤١) (5) قال ابن عباس "اصطنعتك لرسالتى وروحي" 6

وقال قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ^ط وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ^ط وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

7

1 سورة الأنعام 12.

2 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1420هـ - 1999 م ، ج 1، ص111

3 سورة الأنعام 54.

4 ابن كثير ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص: 123 .

5 سورة طه 41.

6 زاد المسير ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 286 .

7 سورة ال عمران 30

قيل في تفسيرها: الذات المقدسة ، وقيل يحذركم الله عقابه ، وقال الزجاج ويحذركم الله إياه .

ثانيا: الروح :

قد وردت كلمة (نفس) في القرآن الكريم بمعنى الروح في عديد من الآيات مثل قوله

تعالى: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا

تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾¹

فالنفس هنا تعني الروح .

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

بِأَسْطُوٰ أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومَ تُجْرَفُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾²

أي تضربهم الملائكة حتي تخرج أنفسهم من أجسادهم.³

1 سورة الزمر 54 .

2 سورة الأنعام 93 .

3 ابن كثير ، مصدر سابق، ج2، ص: 680

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ (1) أى تخرج أرواحهم .

ثالثا: القلب :

حيث وردت كلمة نفس بمعنى قلب في عدة مواضع من القرآن الكريم حسب ما جاء في كتب التفاسير ، حيث أنها دائما ترد بمعنى النفاق ، والنفاق في معناه الشرعي إبطان

الكفر ، وقد قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ

وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ (2)

أى بالنفاق وإبطان الكفر ، قال مجاهد :

أهلكتموها بالنفاق ، وقيل بالشهوات واللذات ، وقيل أسمتموها بالنفاق . (3)

وفي قوله تعالى (يخفون في أنفسهم)⁴ أي يسرون ويضمرون في أنفسهم النفاق ولا يبدون لك ذلك ، فنفسهم مليئة بالوساوس والهواجس حافلة بالأعترافات ، وأيضاً قوله

تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴿٦٣﴾

1 سورة التوبة 55

2 سورة الحديد 14.

3 زاد المسير ، مصدر سابق ، ج 8 ص: 133.

4 سورة آل عمران 154

فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ، فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ

1 ﴿٥٢﴾ على النفاق الحاصل لهم على الموالة .

رابعاً: العند :

ذكر في تاج العروس² أن النفس هي: (العند) واستشهد بقوله تعالى عن عيسى عليه

السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ

مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

عَلِمْتُهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾³

أى تعلم (ما عندي) ولا أعلم (ماعندك) وقال الأنباري في هذه أن النفس هنا الغيب ،

أي تعلم غيبي لأن النفس لما كانت غائبة أوقعت على الاغيب ويشهد بصحة قوله في

آخر الآية (وأنت علام الغيوب) كأنه قال تعلم غيبي يا علام الغيوب ، وقال الشوكاني

وابن الجوزي في تفسيرهما لهذه الآية: تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك

ولا ما في حقيقتك وتعلم ما أضمره ولا أعلم ما عندك علمه وتعلم ما في غيبي ولا أعلم

ما في غيبك وتعلم ما أخفية ولا أعلم ما تخفيه.

1 سورة المائدة 52.

2 تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، احمد بن عطاء الله السكندري، دار جوامع الكلم، مصر، دت، 1998ص:30.

3 سورة المائدة116

وقد ورد أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِشْرَاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۗ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ۗ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾¹

أي ليس هذا إلي إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ من الله، أي عندي ، فلمعني أن الذي أتيت به من عند الله لا من عندي .

خامسا: أفراد معينين :

وردت كلمة (نفس) في القرآن الكريم في عدة مواضع لتدل على أصل الإنسان وخلقتها من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام ، مثل قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾²

فالمراد بالنفس الواحدة : آدم .³

1 سورة يونس الآية 15

2 سورة النساء الآية 1

3 معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج، ت: شبلي، ن: عالم الكتب ، دت ، بيروت، 1998م، ج:2، ص:5.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ^ط فَلَمَّا أَثْقَلت دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ^١

وقوله سبحانه: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾ ^٢

وكذلك وردت للدلالة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ففي الآية الكريمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَعَلَّكَ بَئِيعَ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ^٣

فوردت هنا للدلالة على الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد هنا لا تهلك نفسك يا

محمد ، أسفاً عليهم وذكر الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ

حِلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ^ط قُلْ

فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ^٤

1 سورة الأعراف الآية 189

2 سورة الزمر الآية 6

3 سورة الشعراء الآية 3

4 سورة آل عمران الآية 93

بأن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام. وكذا ما ورد في الآيات في سورة يوسف في آيات عديدة مثل قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

1 ﴿٢٣﴾

وقوله تعالى يحكي عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

2 ﴿٢٦﴾ أي حاولته على نفسه ودعته إليها لأنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسن بهائه. 3

وكذا وردت كلمة (نفس) للدلالة على موسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ

رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

4 أي ليس أحد يطيعني فيهم فيمثل أمر الله ويجب إلي ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون. 5

1 سورة يوسف 23

2 سورة يوسف 26

3 زاد المسير ، مصدر سابق، ج. 4 ، ص: 284

4 سورة المائدة 25

5 ابن كثير ، مصدر سابق، ج 1 ، ص: 41.

سادسا: أهل الدين وأبناء الجنس الواحد :

وردت كلمة نفس في العديد من المواضع في القرآن الكريم لتدل على أهل دينكم وبني جنسكم، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾¹

حيث ورد في معنى أنفسكم قولان : إحداهما أنه خلق آدم ثم خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتستأنسوا بها .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾²

أي خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً أى من جنسكم في البشرية والإنسانية . وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

1 سورة النحل 72.

2 سورة الروم 21.

خَلَّتْكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
 جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلُمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
 تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

هذا في دخول الرجل بيت نفسه، والسلام على أهله ومن في بيته، قال قتادة: إذا
 دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتا لا أحد فيه
 فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين².

قال ابن عباس: هو المسجد إذا دخلته فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. . وفي
 قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى...﴾³. أي عليكم وعلى من

يمثلكم من المؤمنين وفي قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ
 كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾⁴

1 سورة النور 61

2 الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1:

1994 م، ج: 3، ص: 333

3 سورة النور 61

4 سورة الروم 28

أي كما تخافون الأحرار المتشابهين لكم في الحرية وملك الأموال وجواز التصرف وتخافون أقرباءكم كالأباء والأبناء ، قال ابن عباس : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضهم بعضاً

1 .

وقد تأتي (نفس) بمعنى بعضكم البعض ، فقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ

فَقَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

2

أي يقتل بعضهم بعضاً . بالخنجر ، لا يخنو رجل علي قريب ولا بعيد ، وقيل : قاموا صفين وقتل بعضهم بعضاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ

مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا

نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بَشَرًا

أَلِاسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

1 الوسيط ، مصدر سابق ، ج 1 ، 222

2 سورة البقرة 54 .

3 سورة البقرة 84

أي بعضكم بعضاً.²

كما جاء في تفسير قوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^ظ

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ^ط مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ

فَنَبِّئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ^٣ ، أي أمثالكم والذين جنسهم من جنسكم ،
أي أبناء جنسهم .

وعبر عنهم بالأنفس لما يدركه الجنس على جنسه من الشفقة ، فبغيتكم لا يضربه أحد
غيركم بل يرجع الظلم عليكم.

وقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا

إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ^٤ أي كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الإفك أن يقيسوا

ذلك على أنفسهم ، قال الحسن : معني بأنفسهم : بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس

واحدة ، قال النحاس بأنفسهم : بإخوانهم ، لكن الدامغاني أوردتها ضمن الوجوه التي

وردت في القرآن تحت وجه الأم ولكن يرد ذلك في كتب التفسير

1 سورة الحجرات 11 .

2 الوسيط ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 192 .

3 سورة يونس 23

4 سورة النور 12

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا

بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾¹

أي أملاككم والذين جنسهم من الشفقة ، وقيل أي يرجع الظلم عليكم.²

وفي قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِ

الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا

أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

³

أي هو أحق بهم في كل أمور الدنيا وأولي بهم من أنفسهم أي أن النبي أولى بالمؤمنين من بعضهم البعض .

1 سورة يونس 23 .

2 زاد المسير ، مصدر سابق، ج. 2 ، ص: 155.

3 سورة الأحزاب 6 .

سابعاً: منكم، منهم :

ولقد وردت كلمة (نفس) في القرآن الكريم للدلالة على منكم أو منهم كما في قوله

تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ

لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾¹

أي أنه عربي مثلهم ، وقيل بشر مثلكم ، وقيل من أشرفهم . وقوله تعالى ﴿لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾² أي من جنسكم في البشرية

وعلى لغتهم ومنهم ، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول

كسري: إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه

وأمانته.³

ثامناً: ذات الإنسان :

وردت آيات كثيرة تدل على ذات الإنسان منها قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا

1 سورة آل عمران 164

2 سورة التوبة 128 .

3 ابن كثير ، مصدر سابق، ج 2 ، ص:389

كَبِيرًا ﴿٢١﴾¹ حيث عظم شأن المشركين في نظر أنفسهم فاستكبروا وطمعوا طغياناً كبيراً وتضخم شعورهم بأنفسهم حتى شغلهم عن تقدير القيم الحقيقية ووزنها وزناً صحيحاً ، ولقد عادوا ما يحسون إلا أنفسهم ، وقد كبرت في أعينهم وتضخمت وعظمت فأضمروا الاستكبار عن الحق والعداد في قلوبهم .² وهذا يعني أنهم ينظرون ذواتهم ويقدرونها بشكل غير واقعي مما أدى إلي سلوكهم غير السوي الذي لا يتناسب مع الدين ومع الهدف من خلق الله تعالى للإنسان . وقد ورد في تفسير الآية قَالَ تَعَالَى:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾³ ﴿١﴾

المراد بالأنفس ذواتهم حيث يمنونها الأمانى الباطلة وهي

كذلك تمنيهم ، وقد أمرهم بعدم تزكية النفوس (الذوات) وتقديرها تقديراً صحيحاً، فقد

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ

وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^٤ ﴿٢٢﴾

أى لا تمتدحوها ولا تبوءوها من الآثام ولا تتنوا عليها فإن ترك تزكية النفس أبعد من الرياء وأقرب إلي الخشوع .

1 سورة الفرقان الآية 21.

2 فتح القدير، الشوكاني ، دار المعرفة ، 2013م، ج:4، ص:162

3 سورة البقرة 9 .

4 سورة النجم 32 .

تاسعا: طوية الإنسان وجوهره وضميره وداخله :

القرآن الكريم كثيراً ما ذكر الإنسان ووساوسه وخلجاته وما يتحدث به مع نفسه، ووطنه وضميره مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ

مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ۝٤﴾¹

فطوية النفس لا مجرد ما يصدر منها من ألفاظ يتحقق معها طوية النفس ، فإذا ظهر منها ما يدل على عدم طوية نفسها لم يحل للزوج أو للولي وإن كانت قد تلفظت بالهبة أو النذر، والمراد هنا أن الرجل يجب أن يعطي المرأة صداقها طيباً بذلك فإن طابت هي له بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالاً طيباً ، فلا يحل له ولا لغيره أن يأخذ منه شيئاً إلا برضا الزوجه فإن رضيت فلا حرج .

كما أورد القرآن في سورة يوسف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾²

أي حاجة في نفس يعقوب أباها وتكلم بها ، وقد يكون هنا في هذه الآية إشارة إلى الدافع في السلوك الإنساني فحديث يعقوب مع أبنائه ونصيحته لهم بأن يدخلوا من أبواب متفرقة لم يكن يغني عنهم من الله شيئاً ولكنها حاجة أو دافع في نفس يعقوب

1 سورة النساء ، الآية 4.

2 يوسف ، الآية 68.

هو الذي دفعه إلى ذلك ، وقد يشير أيضاً إلى عاطفة الأبوة الحانية الخائفة على أبنائه بتقديم النصح لهم . كما يتحدث القرآن أيضاً عن الإنسان ونفسه وما يختلج فيها من وساوس .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمَّا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ ^ط وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ ^١ ﴿١٦﴾

المراد هنا ما يختلج في سره وقلبه. ²

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ^ج إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ

كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا ^٣ ﴿٢٥﴾

أي بما تضمرون من البر والعقوق ، فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمم العقوق غفر له ذلك ، وقيل بما في ضمائرکم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات ، أي أنه سبحانه وتعالى يعلم بدوافع الإنسان التي تحرك سلوكه .

وقد وردت النفس في كثير من الآيات لتدل على الشهوات وميول النفس مثل قوله

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ^ط وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

1 سورة ، ق الآية 16

2 الشوكاني ، مصدر سابق ، 1413 ، ج 5 ، 106 .

3 سورة الإسراء الآية 25 .

مَرِّمِ الْبَيِّنَاتِ وَأَيِّدْنَاهُ بَرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ

أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾¹

جاء في تفسيرها : أي بما يميل إليها لأن أصل الهوى الميل إلى الشيء ، قال الجوهري وسمي الهوى هوي لأنه يهوي بصاحبة إلى النار .² وهذا يدل على الميول الإنسانية ، حيث أن الإنسان يميل دائماً إلى أشياء معينة ويسعى دائماً إلى ما يدعم هذه الميول ويترك ما لا يدعم هذه الميول ، وهنا تتجلي الذاتية في النفس الإنسانية والبعد عن الموضوعية وإصدار أحكام عقلانية تتناسب مع المواقف وليس مع الميول أي ليس مع ما يميل إليه الإنسان ويتجه إليه ، وفي ذلك يقول صاحب الظلال أن إتياع وإخضاع الشرائع للهوى الطارئ والنزوة المتقلبة ظاهرة تبدو كلما فسدت الفطرة، وانطمست فيها عدالة المنطق الإنساني ذاته ، المنطق الذي يقتضي أن ترجع الشريعة إلى مصدر ثابت - مصدر لا يميل مع الهوى ولا تقلبات النزوة - فيرجع إلى ذلك الميزان الثابت الذي لا يتأرجح مع النزوة والهوى.³

1 سورة البقرة الآية 87

2 الشوكاني ، مصدر سابق ، ج :1، ص:163 .

3 ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ج8 ، 156 .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا

كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ



وعن عبد الله بن عمرو قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول :

(اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع
ومن علم لا ينفع).³

أى لا تشبع بما أتاها الله ولا تقنع بما رزقها ولا تفتقر عن جمع المال لما فيها من شدة
الحرص أو من نفس تأكل كثيراً.⁴

وفي الترمذي عن ابن الوليد قال سمعت حولة بنت قيس تقول :

1 سورة المائدة الآية 70 .

2 سورة النجم الآية 23 .

3 رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا أبو كريب، برقم 3482، وأبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم 1549، والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الشقاق والنفاق، برقم 5470، وأحمد، 11 / 120، برقم 6561،

4 المناوي ، فيض القدير، ص 108 .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول:

(إن هذا المال خضر حلو ، من أصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما

شاءت له نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار)¹

أي متسارع ومتصرف فيما أحبته وتلذذت به نفسه. فهنا دوافع أولية عضوية ودوافع

ثانوية ، هذه الدوافع يجب أن يكون لها ضوابط مستقاة من الشرع الإلهي ، فلا يسير

الإنسان فقط في سلوكه وراء هذه الدوافع مشبعاً لها ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ أُمَّرَأَةً

خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿١٢٨﴾²

قال ابن زيد :

لا تطيب نفسه أن يعطيها شيئاً فتحلله ولا تطيب نفسه أن تعطي شيئاً من مالها ،

حيث في الآية إخبار منه سبحانه بأن الشح في كل واحد منهما بل في كل الأنفس

الإنسانية كائن ، وجعله كأنه حافز لها لا يغيب عنها بحال من الأحوال ، وذلك بحكم

الجبلة والطبيعة ، فالرجل يشح بما يلزمه للمرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها ،

1 صحيح البخاري، باب فرض الخمس، رقم الحديث، 2926 ، ط 2 ، دار الفجر مصر .

2 سورة النساء 128.

والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها ، وشح الأنفس
بجعلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه. (1)

وقد ترد كلمة (نفس) في القرآن الكريم للدلالة على دخل الإنسان مثل قوله تعالى: ﴿

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى
زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ
إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴿٢﴾

وقوله سبحانه: ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا

يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿٣﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي

أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكُرُنَّهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا

1 زاد المسير ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص: 219.

2 سورة الأحزاب 37 .

3 سورة يوسف 77 .

قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾¹

ي أضمرت من خطبتهن والزواج بهن وأرشدن إلي إضمار الخير دون الشر.²

وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. : (رأى عيس بن مريم رجلا يسرق

فقال له عيسي : سرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو فقال عيسي : آمنت بالله

وكذبت نفسي

اي فيما قلت وقال الطيبي : اي صدقتك في حلفك بقولك والذي لا إله إلا هو وبرأتك

ورجعت عما ظننت بك وكنت نفسي .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ

الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾³

حيث أمره ان يذكره وينهاه عن الغفلة وأن يذكره في نفسه رغبة ورهبة⁴

كما وردت أيضاً بمعنى الحسد ، والحسد هو تمني زوال النعمة كما في قوله تعالى : ﴿ وَدَّ

كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

1 سورة البقرة الآية 235

2 ابن كثير ، مصدر سابق، ج : 1، ص: 299

3 سورة الأعراف الآية 205.

4 ابن كثير ، مصدر سابق، ج : 2، ص: 293.

مَنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ

بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه ، والحسد هو تمني زوال النعمة من المحسود

المبحث الثاني: النفس البشرية في نظر الدارسين.

المطلب الأول: النفس البشرية في نظر الإسلام

المطلب الثاني: النفس البشرية في نظر الفلاسفة

المبحث الثاني: النفس البشرية في نظر الدارسين.

المطلب الأول : النفس البشرية في نظر الإسلام

لعل من المهم أن ندرك أولاً طبيعة النظرة الإسلامية إلى النفس الإنسانية بصفة عامة، فالنفس الإنسانية بصفة عامة مُكْرَمَةٌ وَمُعْظَمَةٌ.. وهذا الأمر على إطلاقه، وليس فيه

استثناء بسبب لون أو جنس أو دين، قال تعالى في كتابه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ¹.

وهذا التكريم عام وشامل، وهو يلقي بظلاله على المسلمين وغير المسلمين.. فالجميع يُحْمَلُ في البر والبحر، والجميع يُرَزَقُ من الطيبات، والجميع مُفَضَّلٌ على كثير من خلق الله عز وجل.. وقد انعكست هذه الرؤية الشاملة لكل البشر، وهذا التكريم لكل إنسان على كل بندٍ من بنود الشريعة الإسلامية، وبالتالي انعكست هذه الرؤية الشاملة على كل قولٍ أو فعلٍ لرسولنا.. وهذا يفسر لنا الطريقة الراقية الفريدة الرحيمة التي تعامل بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم مع المخالفين له والمنكرين عليه. إنه يتعامل مع نفوس بشرية مُكْرَمَةٌ؛ فلا يجوز إهانتها أو ظلمها، أو التعدي على حقوقها، أو التقليل من شأنها، وهذا واضح بيّن في آيات القرآن الكريم وكذلك في حياة الرسول صل الله عليه وسلم. يقول الله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ طَبَقٍ

1 سورة الإسراء: 70

تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي تَحْنُ
 نَزْرُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا
 تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾¹

فالأمر هنا عام، يشمل نفوس المسلمين وغير المسلمين؛ فالعدل في الشريعة مطلق لا يتجزأ. فالشريعة تأبي الظلم في كل صورته، والنهي عن ذلك واضح في آيات وأحاديث لا تُحصى، وهو مرفوض إلى يوم القيامة.. بل يقول الله عز وجل في صفة الحساب يوم القيامة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾²

والأمر هنا على إطلاقه أيضاً؛ فلن تظلم "نفس" يوم القيامة، أيًا كانت هذه النفس، مؤمنة بالله أو كافرة به، مسلمة كانت أو نصرانية أو يهودية، أو غير ذلك من الملل والنحل الأخرى.. هذه هي النظرة الإسلامية الحقيقية لكل البشر.. إنها نظرة التقدير والاحترام والتكريم.. رسول الله وتكريم النفس وما أبلغ وأروع الموقف الذي علّمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما مرّت به جنازة يهودي.. فقد روى الإمام مسلم عن ابن أبي ليلي أنّ قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسيّة، فمرّت بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما: إنّها من أهل الأرض، فقالا: إنّ رسول الله صلى الله عليه

1 سورة الأنعام: 151.

2 سورة الأنبياء: 47.

وسلم مرّت به جنازة فقام، فقيل: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: "أَلَيْسَتْ نَفْسًا"¹. ألا ما أروع هذا الموقف حقًا!! هذه هي النظرة الإسلامية للنفس البشرية.. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف زرع في نفوس المسلمين التقدير والاحترام والرحمة لكل نفس إنسانية، وذلك على الإطلاق؛ لأنه فعل ذلك وأمر به، حتى بعد علمه أنه يهودي.. فإذا أخذنا في الاعتبار أن هؤلاء اليهود قد عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأوا الآيات، واستمعوا إلى الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، ثم لم يؤمنوا، بل إنهم اعتدوا عليه صلى الله عليه وسلم بشتى أنواع الاعتداءات المعنوية والمادية، ومع كل هذا التعتت اليهودي إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف لجنازة رجل منهم، وهو رجل غير معروف، لكيلا يقال إنه -أي اليهودي- أسدى معروفًا مرّة للمسلمين، أو كان ذا خلق حسن، ودليل ذلك أن الصحابة عيّنوه بصفته لا باسمه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برّر وقوفه بقوله: "أليست نفسًا؟" ولم يذكر فضيلة معينة له. إنه الاحترام الحقيقي للنفس البشرية.. إن هذا الموقف قد رسّخ في أذهان الصحابة - والمسلمين من بعدهم - أن الإسلام يحترم كلّ نفس بشرية ويقدرها ويكرمها، وهذا الذي دفع قيس بن سعد وسهل بن حنيف رضي الله عنهما أن يقفوا لجنازة رجل مجوسي يعبد النار! فالمجوسي هذا ليس كتابيًا أصل، وهو على عقيدة مخالفة تمامًا لدين الإسلام، بل إنه من قوم محاربين، ومع ذلك فالصحابة يدركون قيمة النفس البشرية فيكرمونها ويقفون لها.. هذه هي نظرتنا لغير المسلمين، وهذه هي الخلفية التي يضعها المسلمون في أذهانهم عند التعامل مع غير المسلمين.. منهج الإسلام في التعامل مع النفس الإنسانية ثم إن

1 صحيح البخاري، رقم الحديث 1311، باب من قام لجنازة يهودي.

هناك خلفية أخرى مهمة تحكم تصور المسلمين للمخالفين لهم في الاعتقاد، والمغايرين لهم في المبادئ، وهي أن الاختلاف بين الناس ليس أمرًا محتملاً فقط، بل هو حتمي! ولن يوجد زمانٌ أبداً يتفق فيه العالمون على رأي واحد في قضية م، بما فيها قضية الألوهية والتوحيد. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ

مُخْتَلِفِينَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١١٨﴾¹.

فالمسلم يقبل ببساطة أن يوجد مخالفون له في العقيدة، ويعلم أن اختفاءهم من الأرض مستحيل، ولذلك يتعايش معهم بشكل طبيعي، وخاصة أن الشريعة الإسلامية توضح بجلاء أطر التعامل وآليات التفاهم مع الطوائف المختلفة من غير المسلمين.

من هذا المنطلق، ومن واقع تقدير الشرع الإسلامي لكل نفس، وتكريم الله تعالى لكل بني آدم، جاءت أوامر الشريعة الإسلامية الخاصة بالعدل والرحمة والألفة والتعارف، وغيرها من فضائل الأخلاق.. جاءت كل هذه الأوامر عامة تشمل المسلمين وغير المسلمين، ولم تكن يوماً كما فعل اليهود بتحريفهم في التوراة؛ فخصُّوا اليهود وحدهم بالمعاملات الحسنة، وأباحوا الموبقات كلها في حق غيرهم!! في شريعتنا الإسلامية تجد

مثلاً قول الله عز وجل في مسألة الرحمة يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

٢ ﴿١٠٧﴾

فليست الرحمة هنا خاصة بالمسلمين، إنما هي عامة لكل

1 سورة هود: 118

2 سورة الأنبياء: 107

البشر على اختلاف أديانهم ومللهم..

والرزق في الأرض مكفولٌ لكل البشر، والكون مُسَخَّرٌ للإنسانية جمعاء، دون تفرقة بين مؤمن وكافر.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ مِمَّا رَفَعُوا لَكُمْ دُونِ اللَّهِ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصَابٌ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٥)

¹ ﴿فَهَذَا التَّسْخِيرُ لِلْأَرْضِ وَالْفُلْكِ﴾

والبهار والسمااء لكل البشرية، والتعليق الختامي على الآية يوضح أن الرأفة والرحمة لكل

الناس.. وفي مسألة العفو قال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣)

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤).

فالعفو من صفات المؤمن، ولكن هذا العفو الذي نراه في هذه الآية ليس خاصاً

بالمسلمين فقط، إنما هو عفوٌ واسعٌ يشمل "الناس" كما ذكر ربنا ، وهو بذلك يشمل

-حتماً- غير المسلمين. ولهذا الأمر تطبيقات كثيرة في حياة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، بل أكثر من كل ذلك، أنه عندما ذكر أمر العدل المأمور به في الإسلام، لم

1 سورة الحج: -65

2 سورة آل عمران: 133، 134

يجعله فقط عدلاً خاصاً بالمؤمنين وحدهم، ولم يجعله فقط عدلاً خاصاً بالبشر المحايدين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين.. وإنما حضَّ وأمر أن يكون العدل حتى مع مَنْ نكره من الناس. قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا ۗ اَللَّهَ ۗ اِنَّ اَللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١﴾¹

هذه النظرة المتناهية في الرحمة والألفة والعدل تفسر لنا الأخلاق النبيلة التي كان عليها رسولنا صلى الله عليه وسلم.. لقد كان مُتَبِعًا للشرع في كل خطوة من خطوات حياته.. لقد كان الله عليه وسلم قرآنًا يمشي على الأرض، ومن اللافت للنظر حقًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل كل ذلك في زمان ندرت فيه أخلاق الفرسان، وعزَّت فيه طبائع النبلاء.

ويكفيك أن تراجع بعض الأوامر والقوانين في التوراة المحرَّفة التي كانت موجودة في عصر رسولنا ، وما زالت إلى زماننا هذا، لتدرك البؤن الشاسع بين التشريع الإسلامي المحكم، وبين الافتراءات البشرية التي دُسَّت بين صحائف التوراة.. ففي سفر يشوع -مثلاً- تجد في طريقة تعامل اليهود مع غيرهم ما يلي: "ثم تحرك يشوع وجيش إسرائيل من لخيش نحو عجلون؛ فحاصروها وحاربوها واستولوا عليها في ذلك اليوم ودمروها، وقضوا على كل نفس" فيها بحد السيف، على غرار ما صنعوا بلخيش. ثم اتجه يشوع بقواته من عجلون إلى حبرون وهاجموه، واستولوا عليها ودمروها مع بقية ضواحيها التابعة له، وقتلوا ملكها

1 سورة المائدة: الآية 8

و"كل نفس" فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، على غرار ما صنعوا بعجلون. وهكذا قضاوا على "كل نفس" فيه، ثم عاد يشوع إلى دبير وهاجموها واستولى عليها ودمرها مع ضواحيه، وقتل ملكها "وكل نفس" فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، فصنع بدبير وملكها نظير ما صنع بلبنة وملكها"¹.

لقد عكس هذا التزوير نفسية اليهود وطبيعتهم، فهذه هي صورة الأنبياء عندهم، يقتلون "كل نفس" غير يهودية. ويؤكد هذه النظرة المنحرفة للنفس البشرية ما جاء في سفر العَدَد، حين يصف رد فعل موسى عليه السلام -وحاشاه من هذا التزوير.

لما رأى بعض جيوشه قد أبطت النساء والأطفال على قيد الحياة، واتخذوهم أسيراتٍ وأسرى فقال لهم: "لماذا استحييتم النساء؟! إهننَّ -باتباعهنَّ نصيحة بلعام- أغوين بني إسرائيل بعبادة فغور، وكُنَّ سبب خيانة الرب؛ فتنفسي الوباء في جماعة الرب، فالآن اقتلوا "كل ذكر" من الأطفال، واقتلوا أيضاً كل امرأة ضاجعت رجل، ولكن استحيوا (أبقوا) لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً"²

فرحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالنفس البشرية ليس معنى أن الإسلام إذ ينظر هذه النظرة المتقبلة للاختلاف إلى الأديان الأخرى أنه ليس حريصاً على دعوتهم إلى الحق الذي يراه.. بل على العكس من ذلك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو الإسلام حتى لألد أعدائه؛ برغم شرورهم ومكائدهم.. ها هو يخص بالدعاء رجلين من ألد أعدائه: أبا جهل وعمر بن الخطاب -قبل أن يُسلم عمر- فيقول: "اللَّهُمَّ اعْرِزْ

1 سفر يشوع، 10 / 34-39.

2 سفر العدد 31 / 7، 18.

الإسلام بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"¹. إن التاريخ الطويل من الصد عن سبيل الله، وفتنة المسلمين عن دينهم، لم يورث في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم شعورًا بالانتقام، أو رغبة في الكيد أو التنكيل، إنما على العكس تمامً، شعر بأنهم مرضى يحتاجون إلى طبيب، أو حيارى يحتاجون إلى دليل، فجاءت هذه الدعوة لهم بالهداية وبالرحمة وبالنجاة.. كانت تلك هي نفسيته صلى الله عليه وسلم، وكانت تلك هي سنته وطريقته، وكانت هذه هي خلفياته ومرجعياته في التعامل مع الناس.. إن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان حريصًا كل الحرص على إيصال دعوته إلى كل من هو على غير الإسلام؛ فحملها إلى كل مشرك أو يهودي أو نصراني أو مجوسي، وكان يبذل قصارى جهده في الإقناع بالتي هي أحسن، وكان يحزن حزنًا شديدًا إذا رفض إنسانٌ أو قومٌ الإسلام، حتى وصل الأمر إلى أن الله نهاه عن هذا الحزن والأسى.. قال تعالى يخاطبه صلى الله عليه وسلم:

﴿لَعَلَّكَ بَئِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾². ويقول أيضًا: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ

عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾³.

1 أخرجه الترمذي ، رقم الحديث 368

2 سورة الشعراء: 3

3 سورة فاطر: 8

ومع شدة هذا الحزن إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجعله مبرراً للضغط على أحدٍ ليقبل الإسلام، إنما جعل الآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا أُنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹ منهجاً له في حياته، فتحقق في حياته التوازن الرائع المعجز؛ إذ إنه يدعو إلى الحق الذي معه بكل قوة، ولكنه لا يدفع أحداً إليه مُكْرَهًا أبداً.. ألا ما أروع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم يلخص به نظرتَه إلى عموم الناس..

1 سورة البقرة: الآية 256

المطلب الثاني : النفس البشرية في نظر الفلاسفة:

إن أفلاطن شيخ الفلاسفة وعظيمها يرى أنّ الإنسان ثلاث أنفس :
يسمّى إحداها النفس الناطقة والإلهية والأخرى يسميها النفس الغضبية والحيوانية
والأخرى النفس النباتية والنامية والشهوانية.
ويرى أنّ النفسين الحيوانية والنباتية إنما كوّنتا من أجل النفس الناطقة. أما النباتية فلتغدو
الجسم الذي هو للنفس الناطقة بمنزلة آلة وأداة إذ ليس هو من جوهر باقٍ غير متحلّل
بل من جوهر سيّال متحلّل، وكان كل متحلّل لا يبقى إلاّ بأن يخلف فيه بدلاً ممّا تحلّل
منه.

فأما الغضبية فلتستعين بها النفس الناطقة على قمع النفس الشهوانية ومنعها من أن
تشغل النفس الناطقة بكثرة شهواتها عن استعمال نطقها الذي إذا استعملته كَمَلاً كان
في ذلك تحلُّصها من الجسم المشتبكة به.

وليس لهاتين النفسين - أعني النباتية والغضبيّة - عنده جوهر خاص يبقى بعد فساد
الجسم كجوهر النفس الناطقة، بل إحداها وهي الغضبيّة هي جملة مزاج القلب والأخرى
وهي الشهوانية هي جملة مزاج الكبد.

وأما جملة مزاج الدماغ فإنها عنده أول آلة وأداة تستعملها النفس الناطقة. والأغذاء
والنمو والنشوء للإنسان من الكبد، والحرارة وحركة النبض من القلب. وأما الحس والحركة
الإرادية والتخيّل والفكر والذكر فمن الدماغ، لا على أنّ ذلك من خاصيّته ومزاجه بل
من الجوهر الحال فيه المستعمل

والتقصير في فعل النفس النباتية أن تغدو ولا تُنمى ولا تُنشئ بالكمية والكيفية المحتاجة إليها جملةً الجسد. وإفراطها أن تتعدى ذلك وتجاوزها حتى يخصب الجسد فوق ما يحتاج إليه ويغرق في اللذات والشهوات.¹

وتقصير فعل النفس الغضبية أن لا يكون عندها من الحمية والأنفة والنجدة ما يمكنها أن تزمّ وتقهّر النفس الشهوانية في حال اشتهاؤها حتى تحول دونها ودون شهواتها، وإفراطه أن يكثر فيها الكبر وحُب الغلبة حتى تروم قهر الناس وسائر الحيوان ولا يكون لها هم إلا الاستعلاء والغلبة كالحالة التي كان عليها الاسكندر الملك. وتقصير فعل النفس الناطقة أن لا يخطر ببالها استغراب هذا العالم واستكباره والفكر فيه والتعجب منه والتطلع والتشوق إلى معرفة جميع ما فيه وخاصة علم جسدها الذي هي فيه وهيئته وعاقبته بعد موته، فإن من لم يستكبر ويستغرب هذا العالم ولم يتعجب من هيئته ولم تتطلع نفسه إلى معرفة جميع ما فيه ولم يهتم ويُعِن بتعرّف ما تؤول إليه الحال بعد الموت فنصيبه من النطق نصيب البهائم لا بل الحُفّاش والحيتان والحُشار التي لا تتفكّر ولا تتذكر البتة. وإفراطه أن يميل به ويستحوذ عليه الفكر في هذه الأشياء ونحوها حتى لا يمكن النفس الشهوانية أن تنال من الغذاء وما به يصلح الجسم من النوم²

ثانياً: عند الامام الغزالي - رحمه الله - :

أما النفس فتطلق بمعنيين: أحدهما أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية وهو المفهوم عند اطلاق الصوفية فيقال من أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك واليه الإشارة بقول نبينا عليه السلام أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.

1 رسائل فلسفية: أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي (المتوفى: 313هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت

الطبعة: الخامسة، 1402 هـ - 1982 ص 33

2 المرجع السابق.

والثاني أن يطلق ويراد به حقيقة الآدمي وذاته فإن نفس كل شيء حقيقته وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت ومن عالم الأمر على ما نبين نعم تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها العارضة عليها فإن اتجهت إلى صواب الصواب ونزلت عليها السكينات الآهية وتواترت عليها نفحات فيض الجود الإلهي فتطمئن إلى ذكر الله عز وجل وتسكن إلى المعارف الإلهية وتطير إلى أعلى أفق الملكية فيقال نفس مطمئنة قال

الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۗ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۗ (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿٢٩﴾¹ وان كانت مع قواها وجنوده ا في حراب و قتال وشجار ونزاع وكانت الحرب بينهما سجالات فتارة لها اليد عليها وتارة للقوى عليها اليد فلا تكون حالها مستقيمة فتارة تنزع إلى جانب العقول فتتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات وتارة تستولي عليها القوى فتتهبط إلى حضيض منازل البهائم فهذه النفس نفس لوامة وهذه النفس هي حالة أكثر الخلق فإن من ارتفع إلى أفق الملائكة حتى تحلى بالعلوم والفضائل النفسية والأعمال الحسنة فهو ملك جسماني لارتفاعه عن الإنسانية وعدم مشاركته للبشر إلا بالصورة التخطيطية ولهذا قال تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم. ومن أتضع حتى صار في حضيض البهائم فلو تصور كلب أو حمار منتصب القامة متكلم لكان هو إياه لانسلاخه عن الفضائل الإنسانية²

1 سورة الفجر 27،28،29

2 معارج القدس في مدارج معرفة النفس أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط2 1975، ج1، ص16

المبحث الثالث: صفات النفس في

القران الكريم وأنواعها

المطلب الأول: صفات النفس في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أنواع النفس في القرآن الكريم

المبحث الثالث: صفات النفس في القرآن الكريم وأنواعها

خلق الله النفس البشرية وجعل فيها طباعاً كثيرة منها طباع الخير ومنها طباع الشر ومنها طباع بين الخير والشر قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾¹

المطلب الأول: صفات النفس في القرآن الكريم

ركب الله سبحانه في خلقه للإنسان العقل والشهوة وخلق الملائكة بعقل دون شهوة، وخلق الحيوان بشهوة دون عقل، فالإنسان إذا غلب عقله على شهوته صار أفضل من الملائكة، وإن غلبت شهوته على عقله صار أدنى من الحيوان، حيث جاء في القرآن الكريم أربع صفات للنفس البشرية وهي:

أولاً: صفات الربوبية:

مثل الكبرياء ، حب المدح والشكر والثناء ، الجبروت وهذه لا تنبغي إلا لله تعالى

ثانياً: صفات العبودية:

مثل:

الخضوع لله ، الذل ، التواضع ، الرحمة ، المودة والمحبة ، الرحمة ، الشفقة

ثالثاً: صفات حيوانية:

مثل: الأكل، الشرب ، النوم ، النكاح والتزواج ،

رابعاً: صفات شيطانية:

مثل: الكذب ، التكبر ، العجب ، الخداع ، المكر ، الإغواء ، حب المخالفة²

1 سورة الإنسان: الآية 2

2 قوت القلوب ، طالب المكي ، دت، مكتبة المصطفى للكتب المصورة ، ص 33،34،35 .

المطلب الثاني: أنواع النفس في القرآن الكريم :

جاء في القرآن الكريم ذكر ستة أنفس¹ ونحن رتبناها على حسب ترقبها من السلبية الى الايجابية كالتالي:

أولاً: النفس الأمانة بالسوء: وهي نفس مذمومة، تأمر بكل سوء، لا يتخلص صاحبها من شرها، إلا بتوفيق الله، وإن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات، وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها، وكفها عن ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥٣﴾

غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣

في ظل هذه الآية الكريمة يتبين لنا حال امرأة العزيز قائلاً: تبدو امرأة العزيز مؤمنة، متحرجة، تبرئ نفسها، ولكنها تتحفظ، ولا تدعي البراءة المطلقة؛ لأن النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم ربي فهي هنا لا تدعي براءة النفس من ارتكاب الذنب لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء.

كما وأن النفس الأمانة يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنب، والمعاصي، ويكون الشيطان قرينها، يأمرها بالسوء، ويزينه لها، ويريد لها الباطل في صورة تقبلها، وتستحسنها.

1 النفس الكاملة لم ترد في القرآن ولكن كثير من العلماء أضافوها

2 سورة يوسف، الآية 53

ويعد هذا النوع من النفوس البشرية (نفوس مهلكة)؛ لأنها لا تأمر بخير، فمن عرف نفسه وما طبعت عليه، عرف أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها؛ فضل من الله منّ به علينا، ومن ثم تحيل هذه النفس صاحبها إلى الإقرار بأن نفسه الأمانة، هي مصدر الذنب والإساءة.¹

ثانياً: النفس اللوامة: النفس اللوامة، وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ

بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾²

اختلف في هذه النفس، فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة؛ أخذوا اللفظة من التلوم، وهو التردد، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب، وتتلون في الساعة الواحدة -فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر- ألواناً عديدة؛ فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف وتكثف، وتنيب وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتعصي، وتتقي وتفجر، إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالاتها وتلوناتها، فهي تتلون كل وقت ألوانا كثيرة، فهذا قول.

وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللوم.

قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً، يقول: ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى، أو نحو هذا من الكلام.

1 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين ابن قيم الجوزية، ق: محمد المعتصم بالله البغدادي: دار

الكتاب العربي - ط: 3، 1416 هـ - 1996 م ج: 1 ص: 237

2 سورة القيامة: 2

وقال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب، ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان، بخلاف الشقي، فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه على فواته. وقالت طائفة: بل هذا اللوم للنوعين، فإن كل واحد يلوم نفسه، بَرَا كان أو فاجرا، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهوها.

وقالت فرقة أخرى: هذا اللوم يوم القيامة، فإن كل واحد يلوم نفسه، إن كان مسيئًا على إساءته، وإن كان محسنًا على تقصيره.

وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها، فإن النفس موصوفة بهذا كله، وباعتباره سميت لوامة.

لكن النفس نوعان:

- لوامة ملومة: وهي النفس الجاهلة الظالمة، التي يلومها الله وملائكته.
- ولوامة غير ملومة: وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة.

وأما النفس الأمارة: فهي المذمومة، فإنها التي تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها، إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له، كما قال تعالى

حاكيًا عن امرأة العزيز: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥٣﴾¹

وقد امتحن الله سبحانه الإنسان بهاتين النفسين:

1 سورة يوسف، الآية 53

الأمانة، واللّوامة كما أكرمه بالمطمئنة، فهي نفس واحدة تكون أمانة ثم لوامة ثم مطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحتها، وأعان المطمئنة بجنود عديدة، فجعل الملك قرينها وصاحبها الذي يليها ويسددها، ويرغبها فيه.¹

ثالثا: النفس الملهمّة:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴾²

إن هذه النفس ألهمها الله تعالى العلم فتعلمت، والهمها التواضع فتواضعت والهمها القناعة فقنعت.....³

قال مجاهد: عرفها الشقاء والسعادة⁴

وقال الطبري: بين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شرّ أو طاعة، أو معصية⁵

يقول الشنقيطي: فهذه النفس في تسويتها لتلقي معاني الخير والشر، واستقبال الإلهام الإلهي للفجور، والتقوى أعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات التي لا تبدي ولا تعيد، والتي لا تملك سلبا ولا إيجابا.⁶

وهنا مثال بسيط فيما استحدثت من آلات حفظ وحساب، كآلة الحاسبة والعقل الألكتروني، فإنها لا تخطئ كما يقولون، وقد بهرت العقول في صفتها، ولكن بنظرة بسيطة نجدها أمام النفس الإنسانية كقطرة من بحر.

1 مدارج السالكين ، مصدر سابق ، ص 243.

2 سورة الشمس: الآية 8

3 الإنسان والنفس في ضوء الكتاب والحديث، ت: محمد قاروط، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 2002، ص: 55

4 تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط: الأولى، 1410 هـ - 1989 م، ص: 732

5 نفس المصدر، ج: 24، ص: 454

6 اضاء البيان ، محمد الشنقيطي، دار البيان ، لبنان، 1995، ج: 8، ص: 541

فنعول: إنها أولا من صنع هذه النفس ذات الإدراك النامي والاستنتاج الباهر. ثانيا: هي لا تخطئ؛ لأنها لا تقدر أن تخطئ؛ لأن الخطأ ناشئ عن اجتهاد فكري، وهي لا اجتهاد لها، إنما تشير وفق ما رسم لها: كالمادة المسجلة في شريط، فإن المسجل مع دقة حفظه لها، فإنه لا يقدر أن يزيد ولا ينقص حرفا واحدا. أما الإنسان: فإنه يغير ويبدل، وعندما يبدل كلمة مكان كلمة، فلقدرته على إيجاد الكلمة الأخرى، أو لا اختياره ترك الكلمة الأولى. وهكذا هنا، فالله تعالى هنا خلق تلك النفس أولا، ثم سواها على حالة تقبل تلقي الإلهام بقسيمه: الفجور والتقوى، ثم تسلك أحد الطريقتين، فكأن مجيء القسم بها بعد وقوله: فألهمها فجورها وتقواها، إن كان «ألهمها» بمعنى هداها وبين لها، وهذا على الهداية العامة، التي بمعنى الدلالة والبيان.

وإن كان بمعنى التيسير والإلزام، ففيه إشكال القدر في الخير الاختيار.¹

رابعاً: النفس المطمئنة

أما هذا النوع من النفوس فهي نفس عرفت ربها حق معرفة، واستقر بها الحال إلى اليقين، وحررت نفسها وتخلصت من كل شهوات الدنيا وعاشت مرتبطة ببارئها،

فاطمأنت،، وهي نفس الشخص المؤمن، ويقال لهذه النفس عند الموت قال تعالى: ﴿

وَلَا يُؤْتِيٰنَا فَتٰنَهُۥٓ أَحَدٌ ۖ ﴿٢٦﴾² ، ولذلك فالنفس المطمئنة لها .

1 أضواء البيان مرجع السابق، ج8، ص544.

2 سورة الفجر: 26

يقول أبو منصور الماتريدي: المطمئنة: هي الساكنة التي لا ترتاب، ولا تضطرب؛ فتكون طمأنينتها بوعده الله ووعيده، وأمره ونهيها، وتوحيده.¹

وقال الإمام القرطبي: لما ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في إغوائه، وإفقاره، ذكر حال من اطمأنت نفسه إلى الله تعالى. فسلم لأمره،²

واتكل عليه. وقيل: هو من قول الملائكة لأولياء الله عز وجل. والنفس المطمئنة: الساكنة

الموقنة، أيقنت أن الله ربها، فأخبتت لذلك، قاله مجاهد وغيره. وقال ابن عباس: أي

الطمئنة بثواب الله. وعنه المؤمنة. وقال الحسن: المؤمنة الموقنة. وعن مجاهد أيضا: الراضية

بقضاء الله، التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن

ليخطئها. وقال مقاتل: الآمنة من عذاب الله. وفي حرف أبي بن كعب يا أيتها النفس

الآمنة المطمئنة. وقيل: التي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه. وقال ابن كيسان:

الطمئنة هنا: المخلصة.

وقال ابن عطاء: العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين. وقيل: المطمئنة بذكر الله تعالى

وقيل: المطمئنة بالإيمان، المصدقة بالبعث والثواب. وقال ابن زيد: المطمئنة لأنها بشرت

بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع. وروى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: يعني

نفس حمزة. والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع. قال الحسن البصري:

1 تفسير الماتريدي، ت: أبو منصور الماتريدي: د. مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، ج: 10، ص: 528

2 تفسير أحكام القرآن، القرطبي، ق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيشن: دار الكتب المصرية - القاهرة ط: الثانية، 1384 هـ - 1964، ج: 20، ص: 58

إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن، اطمأنت النفس إلى الله تعالى، واطمأن الله إليها.¹

وقال عمرو بن العاص: إذا توفي المؤمن أرسل الله إليه ملكين، وأرسل معهما تحفة من الجنة، فيقولان لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة راضية مرضية، ومرضيا عنك، اخرجي إلى روح وريحان، ورب راض غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك وجد أحد من أنفه على ظهر الأرض. وذكر الحديث.

وقال سعيد بن زائد: قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة، فقال أبو بكر: ما أحسن هذا يا رسول الله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الملك سيقولها لك يا أبا بكر)²

وأما صاحب الظلال فنجده يوضح معنى النفس المطمئنة، عند تفسيره لقوله تعالى: النفس المطمئنة هي: المطمئنة إلى ربها، والمطمئنة إلى طريقها، والمطمئنة إلى قدر الله بها، والمطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء، هي المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجج في الطريق، والمطمئنة فلا ترتاع يوم الهول الرعب واصفاً صورة هذه النفس بأنها: الصورة المشرقة للنفس المؤمنة،

1 القرطبي، مصدر السابق، ج20، ص75.

2 مصدر نفسه.

فهي مطمئنة بأيمانها ترتفع عن اللغو، وتزخر بالسماحة، والود، وترسم الطريق الواضح لمن يريد أن يتأدب بأدب الله.¹

فهي التي تنورت بنور القلب حتى وصل بها الحال أن تخلت عن صفاتها الدميمة واطمأنت إلى الكمالات ، وأن صاحب هذه النفس يخاطب النفس يخاطب الناس وهو في بعد من شدة تعلقه بالحق تعالى .

وقال آخر :إنها النفس التي لا ترى غير الفضيلة مبدأ ولا تختار غير الحق بديلا ، فأملها بالله خالقها وهاديتها ، متوكلة عليه أبدا ، راضية بما يرزقها من خير أو شر ، تجاهد أبدا ، وعملها الدؤوب : الخير والبر ، وترضى بما أعطاه الله من نعم ، غير معترضة على ما يصيبها من امتحان أو ابتلاء... تسترشد دائما بنور الهدى في ظلمات النفس، صفاتها المميزة: الجلد والصبر ، والتواضع ، والتسامح ، والحياء ، لأنها لا ترى في مادية الكون معنى يستحق الإهتمام، فشغلها الشاغل :رضاء الله ، وعبادته ، وطاعته.

فالنفس المطمئنة إلى قول الله وعدله ... تعرف يقينا أن ما وعدها الله به سيتحقق ، وهي تعلم يقينا أن قول الله هو الحقيقة الخالدة

ومن هنا نعلم أن الله يدافع عن الدين آمنوا، وأن الله وعد في كتابه العزيز هذه النفس بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة²

1 الظلال، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط 17 ، 1412 .

2 الإنسان والنفس، ص:50

وبهذا نصل إلى أن الله سبحانه وتعالى أمتحن الشخص المسلم بهاتين النفسين: (الأمانة واللوامة)، كما أكرمه بالمطمئنة، فهي نفس واحدة تكون أمانة، ثم لوامة، ثم مطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحتها.

فإنه **عَبَّكَ**، خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وبالتالي يجب وضع دليل لكل شخص مسلم، به ينظم نفسه، ويجعل منها نفساً سعيدة؛ مطمئنة في الدنيا، وراضية مرضية في الآخرة، وذلك بالتزامه بالعقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والخلق القويم، وتطلع النفس إلى الكمالات، ولإقبالها على الأعمال الصالحة، ليصل بها الشخص المسلم إلى درجة العبد الراضي من ربه؛ والمرضي لربه¹.

خامساً و سادساً: النفس الراضية والنفس المرضية:

قال الله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾²

وهي النفس المتكاملة الراضية من ربّها رضی الرب منها، واطمئنتانها إلى ربّها يستلزم رضاها بما قدّر وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً، فلا تسخطها سائحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضی العبد من ربّه، رضی الرب منه، إذ لا يسخطه تعالى إلاّ خروج العبد من زي العبودية، فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضی ربّه ولذا عقب قوله: "راضية" بقوله: "مرضية"³.

قوله تعالى وفيه دلالة على أنّ صاحب النفس المطمئنة في زمرة عباد الله حائز مقام العبودية، وذلك أنه لما اطمأنّ إلى ربّه انقطع عن دعوى الاستقلال ورضي بما هو الحقّ

1 الإنسان والنفس ، مرجع السابق ، ص50.

2 الفجر:20

3 المرجع نفسه ، ص53.

من ربّه فرأى ذاته وصفاته وأفعاله ملكًا طلقًا لربّه فلم يرد فيما قدر وقضى، ولا فيما أمر ونهى، إلاّ ما أَرادَه ربّه، وهذا ظهور العبودية التامة في العبد، ففي قوله: (تقرير لمقام عبوديتها).

وفي قوله: تعيين لمستقرها، وفي إضافة اللجنة إلى ضمير المتكلم تشریف خاص، ولا يوجد في كلامه تعالى إضافة اللجنة إلى نفسه تعالى وتقدس إلاّ في هذه الآية يقول الحافظ بن كثير:

ومقام رضاه عنهم اعلى درجات مماوتوه من النعيم المقيم¹

1 المرجع السابق، ص: 54

الخاتمة

إن لكل نبأ مستقراً، ولكل بداية نهاية، فكان لا بد لنا وقد أشرفنا على النهاية، أن نذكر خلاصة هذا البحث، وعصارة الفكر التي أدرجت بين ثنايا سطره والنتائج التي استنبطناها من خلال ما استخلصناه، فكانت كما يلي:

1 - ان الاختلاف في النفس الانسانية نابع من التغيير لما في داخلها ، فالنتيجة كانت التباين في الاختيار والقدرة على التغيير ، من هنا تعددت الأنفس ، فأصبحت للنفس الإنسانية ثلاثة أنواع هي: النفس الأمانة، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، وان جميعها مصطلحات قرآنية وردت في كتاب الله، على اختلاف بين العلماء في أنها مراحل للنفس الواحدة، أو عدة أنواع لنفوس مختلفة.

2 - ان اغلب مشكلات الانسان ، ما هي الا نتاج النفس الامارة بالسوء فهي نفس مهلكة لا تأمر بخير.

3 - هناك عوامل يمكن من خلالها الارتقاء بالنفس الانسانية وتجعلها اكثر رزانة وثباتاً وهي: (اتساع أفق النظر، والتعامل مع الوجود الكبير، وتصوير الأزل والأبد ، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدره في علم الله، الثابتة في تصميم الكون) إلى جانب ذلك، فالإنسان يمتلك قوة واعية مدركة موجهة، يستطيع بها تركية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، والتغلب على الشر.

4:الفاظ النفس في القرآن الكريم لها معان ودلالات حسب سياقها في الايات اليبينات ولا يمكننا أن ندرسها مجردة منت سياقها .

5: لقد اعتنى الصوفية أكثر من غيرهم في العناية بمصطلحات النفس وترتيبها وتزكيتها.

هذا أهم ما توصلنا إليه من نتائج في هذا البحث. سائلين المولى عليه السلام أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا والمسلمين بما قد أصبنا فيه من استنتاجات وفوائد، وأن يغفر لنا ما قد أخطأنا فيه من ذلك. فالكمال له وحده، والعصمة لرسوله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرءان الكريم ، رواية حفص عن عاصم ، المصحف الالكتروني

كتب الحديث

1 - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسننه وأيامه ، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري

الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة

الطبعة: الأولى، 1422هـ

2 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:

261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -

بيروت

3 - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن

محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:

1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض

الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف) النشر:

ج 1 - 4 : 1415 هـ - 1995 م

ج 6 : 1416 هـ - 1996 م

ج 7 : 1422 هـ - 2002 م

- 4 - السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني،
النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، نشر:
مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
- 5 - مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود
الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن
التركي، نشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م
- 6 - الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن
الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق: بشار عواد
معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م

التفسير

- 1 - تفسير أحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيشن: دار
الكتب المصرية - القاهرة 964
- 2 - الوسيط في تفسير القرآن المجيد
الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1
- 3 - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع
، الطبعة 2: 1420 هـ - 1999 م
- 4 - زاد المسير، بن الجوزي، ت: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب
العربي، 1422 .
- 5 - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق - بيروت - لبنان، الطبعة 17
- 1412 هـ

- 6 - تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديثة،
مصر، ط: الأولى، 1410 هـ - 1989
- 7 - اضواء البيان، محمد الشنقيطي، دار البيان، لبنان، 1995
- 8 - تفسير الماتريدي، ت: أبو منصور الماتريدي: د. مجدي باسلوم، ن: دار
الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط: الأولى، 1426 هـ - 2005م،
- 9 - ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: الفوز الأصغر. تحقيق: صالح
عضيمة، دمشق: الدار العربية للكتاب 1987 .
- 10 - تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي
(المتوفى: 393هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ -
1987 م
- 11 - العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد
الصاغانى. الطبعة: 2، بروت، ابان، 1998
- 12 - تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى:
370هـ) ت: محمد عوض مرعبن: دار إحياء التراث العربى - بيروت الطبعة:
الأولى، 2001م،
- 13 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، 1399هـ - 1979م
- 14 - لسان العرب، حمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور
الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر -
بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

- 15 - الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، الدامغاني تحقيق: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 14 تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، احمد بن عطاء الله السكندري، دارجوامع الكلم، مصر 1998
- 16 - معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج، التحقيق: شبلي، نشر: عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1998م،
- 17 - فتح القدير ، الشوكاني، المعرفة، جدة، 2013، السعودية
- 18 - رسائل فلسفية: أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي (المتوفى: 313هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الخامسة، 1402 هـ - 1982
- 19 - معارج القدس في مدارج معرفة النفس أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط2 1975
- 20 - قوت القلوب في معاملة المحبوب ، طالب المكي، دار صادر، بيروت لبنان 1992،
- 21 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين ابن قيم الجوزية، ق: محمد المعتصم بالله البغدادي: دار الكتاب العربي - ط: 3، 1416 هـ - 1996م
- 22 - الانسان والنفس في ضوء الكتاب والحديث، ت: محمد قاروط، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الاولى، 2002،
- 23 - محاسبة النفس لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى:

281هـ)، تحقيق: المسعتصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، الناشر:

دار الكتب العلمية، بيروت

1 - الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م

2 - سفر العدد 31 / 7، 18.

3 - سفر العدد 31 / 7، 18.

الفهرس

فهرس المحتويات .

أ	المقدمة
02	المبحث الأول : النفس بين المفهوم والماهية.....
02	المطلب الأول: الدلالة المعجمية للفظ النفس.....
04	المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية للنفس.....
27	المبحث الثاني: النفس البشرية في نظر الدارسين.....
27	المطلب الأول: النفس البشرية في نظر الإسلام
36	المطلب الثاني: النفس البشرية في نظر الفلاسفة.....
39	المبحث الثالث: صفات النفس في القرآن الكريم وأنواعها.....
39	المطلب الأول :صفات النفس في القرآن الكريم.....
40	المطلب الثاني :أنواع النفس في القرآن الكريم
50	الخاتمة.....
52	قائمة المصادر والمراجع.....
57	فهرس المحتويات.....